تمجيد السلاطين:
بين سرديات الإسلامويين الجدد وتقديس الأبطال التاريخيين

في السياق المعاصر، أخذت الحركات الإسلاموية الجديدة على عاتقها مهمة تعظيم شخصية السلطان محمد الفاتح، مستخدمةً في ذلك أدوات تحريف التاريخ وتمجيده بأسلوب يكاد يصل إلى مستوى التقديس. تتجلى هذه الظاهرة بوضوح في كيفية تصويرهم للفاتح، حيث لا يتركون صفة إيجابية إلا وينسبونها إليه، ولا يشيرون إلى أي من نواقصه أو أخطائه البشرية الطبيعية.

> "استكشاف تزوير التاريخ وتصنيف الفاتح كرمز للعثمانية الجديدة."

لماذا يتم اختيار محمد الفاتح كأيقونة؟ الجواب يكمن في استغلال تاريخ "القسطنطينية"، التي فتحها، لتعزيز الأجندة السياسية والفكرية للعثمانية الجديدة. يستخدمون الروايات التاريخية المتناقضة والمليئة بالتأليف لدغدغة مشاعر جماهيرهم، مما يشير إلى محاولات لإعادة صياغة التاريخ لتحقيق مكاسب معاصرة.

علي محمد الصلابي في كتابه "الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط" يُبرز مثالية محمد الفاتح كقائد، مشيراً إلى صفاته كالحزم، الشجاعة، والعدالة. بينما تعرض الدكتورة إيناس محمد البهيجي في "تاريخ الدولة العثمانية" مهاراته اللغوية والشعرية، لكنها تتجاهل الجوانب الأقل إثارة للإعجاب، مثل تحدياته العسكرية.

تتبع هذه الأمثلة كيف يُستخدم التاريخ أحياناً لتلميع صورة الشخصيات لخدمة الأجندات الفكرية، حيث يتم التغاضي عن الحقائق المزعجة أو المتناقضة. محمد مصطفى صفوت يقارن في "السلطان محمد الفاتح: فاتح القسطنطينية" بين الفاتح والإسكندر الأكبر، مما يعكس الرغبة في إظهار الفاتح كبطل ملحمي يشبه الأساطير الكلاسيكية.

المعلومات المغلوطة والتفسيرات المثالية للتاريخ ليست بالأمر الجديد، ولكن ما يثير القلق في الحالة العثمانية الجديدة هو استعداد البعض لتمجيد الفاتح بطريقة تكاد تكون مقدسة، مما يعيد للأذهان تأليه الشخصيات التاريخية كما كان يحدث في الحضارات القديمة مثل الفرس والهندوس. يشير هذا إلى أن التاريخ يمكن أن يُستخدم كأداة قوية للتأثير الفكري والسياسي، وأن الحقائق يمكن أن تُعدّل أو تُهمل بحسب الحاجة.

هذا السلوك يدعو للتأمل في كيفية تعاملنا مع الشخصيات التاريخية وكيف نحكم على تصرفاتهم وأخلاقهم من خلال عدسة العصر الذي نعيش فيه، مع الأخذ بالاعتبار أن البطولات المألوفة قد تكون محفوفة بمزيد من التعقيد مما تظهره الروايات المثالية.

المراجع:

1. أوزكان، آيتاج. السلطان محمد الفاتح. القاهرة: دار النيل، 2015.
2. البهيجي، إيناس محمد. تاريخ الدولة العثمانية. عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، 2017.
3. صفوت، محمد مصطفى. السلطان محمد الفاتح: فاتح القسطنطينية. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2020.
4. الصلابي، علي. الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط. بورسعيد: دار التوزيع، 2001.